ثالثاً: الخيل في القرآن الكريم

لم يكرم دين من الأديان السماوية الخيل إكرام الإسلام لها، حيث فضل الله الخيل على سائر الأنعام، فقد ذكر الله تعالى الخيل في القرآن الكريم في أكثر من موضع وأكثر من مناسبة تنويهاً بها، ولفتاً إليها ورفعاً لقدرها على غيرها من الحيوانات الأخرى باعتبارها نعمة كبيرة من نعم الله عز وجل على عباده. لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالاهتمام بالخيل واقتنائها للاستفادة منها في جوانب عديدة. وجعلها عزًا وقوة ونصرًا للمجاهدين في سبيله.

قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]. يقول القرطبي في تفسيره: «إن من حقوق الخيل والبغال والحمير هو حسن ملكها، وتعهد شبعها، والإحسان إليها، وركوبها غير مشقوق عليها، كما فيها الجمال والتزين الذي هو من متاع الدنيا المباح، كما أن فيها الغنيمة المستفادة للكسب والمعاش ...» أ.هـ. فالخيل زينة وجمال ومتاع من أمتعة الحياة الدنيا التي درج الناس على حبها والتعلق بها.

وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ باتخاذها وارتباطها، واعتبرها من مصادر القوة ومن أهم أدوات الحرب التي يجب أن تعد لمجابهة الأعداء والأخطار الخارجية التي تحيط بالأمة الإسلامية وتربط في سبيل الله لتخويف الأعداء بها وقذف الرعب في قلوبهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فسعى عباده المخلصون من الأنبياء والصالحين إلى اقتنائها والحفاظ عليها لما فيها من العز والقوة؛ فكانت مراكب المدافعين والحماة والمجاهدين في سبيله من أجل إعلاء كلمته ونشر دينه الحنيف في أصقاع المعمورة.

obeikandl.com

يقول سيد قطب : «النص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها، ويخص رباط الخيل؛ لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم القرآن أول مرة...» أ.هـ.

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران: ١٤]. *

في هذه الآية الكريمة ذكر الله أن الخيل من ملاذٍّ ومتاع الحياة الدنيا، التي تستحث الإنسان على السعي إليها والتمكن منها، فإذا وقعت في يده سعد بها، وأشركها معه في حياته، وبذل لها العناية والرعاية، فقد كان من الناس من يؤثر جواده على نفسه، ليوفر لجواده الطعام والشراب. فحب العرب للخيل غريزة تمليها طبيعة الحياة، وما جبلوا عليه من فروسية. يقول ابن كثير في تفسيره: «حب الخيل يكون على ثلاثة أقسام، تارة يكون ربطها أصحابها معدة لسبيل الله متى احتاجوا إليها غزوا عليها، فهؤلاء يثابون. وتارة تربط فخراً ونواء لأهل الإسلام. فهذه على صاحبها وزر، وتارة للتعفف واقتناء نسلها ولم ينسَ حق الله في رقابها فهذه لصاحبها ستر» أ. هـ.

وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ [الإسراء: ٦٤]. معركة صاخبة تألفت فيها الوسائل المختلفة للاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول.

استخدمت فيها أصوات الخيل والرجل على طريقة المعارك والمبارزات، يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة أو يستدرجهم للفخ

---

* الخيل المسومة: هي المعلمة والمعدة للجهاد.

المنصوب والمكيدة المريرة. فإذا استدرجوا إلى العراء آخذتهم الخيل، وأحاطت بهم الرجال.

وقال تعالى: ﴿وما أفاء اللهُ علىٰ رسُوله منهم فما أوجفتُمْ عليْه من خيلٍ ولا ركاب ولكنَّ الله يُسلطُ رُسُلهُ علىٰ من يشاء واللهُ علىٰ كُلِّ شيءٍ قدير﴾ [الحشر: ٦]. *

يقول ابن كثير: «يقول تعالى مبيناً ما الفيء وما صفته وما حكمه، فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ، فأفاءه على رسوله، ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين...» آ. هـ.

وللخيل تكريم وتخصيص فهي الصافنات الجياد التي كانت تعرض على سليمان عليه السلام، و قد ورد لفظة الجياد في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿ووهبْنا لداوُود سُليْمان نعْم العبْدُ إنَّهُ أوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إذْ عُرض عليْه بالْعشيِّ الصَّافناتُ الجيادُ ﴿٣١﴾ فقال إنِّي أحْببْتُ حُبَّ الخيْر عن ذكْر ربِّي حتَّىٰ توارتْ بالْحجاب ﴿٣٢﴾ رُدُّوها عليَّ فطفق مسْحا بالسُّوق والأعْناق﴾ [ص: ٣٠ - ٣٣].

يقول القرطبي: «والصفون صفة تدل على أن الفرس يجمع بين يديه ويثني سنبك إحدى رجليه، وذلك ليقوم وينهض. وتلك الصفة من فضائل الفرس، أما الجواد فهو شديد الجري، شديد الحفر، سريع العدو، وتقصد الآيات الكريمات وصف الخيل بالفضيلة والكمال سواء في حالة وقوفها أو في حالة حركتها، فهي إذا

---

* الإيجاف هنا بمعنى الركض والإسراع. أي أن ما حصل عليه المسلمون من الفيء لم يركضوا عليه خيلاً.

وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها على أحسن الأشكال، فإذا جرت كانت سراعًا في جريها، فإذا طلبت لحقت، وإذا طُلبت لم تُلحق». فقد ذكر بعض المفسرين: «أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس، فصلى الظهر وقعد على كرسيه وهي تُعرض عليه فعُرض عليه منها تسعمائة فرس فتنبه لصلاة العصر، فإذا الشمس قد غربت وفات وقت الصلاة ولم يخبروه بذلك هيبة له، فاغتم لذلك وقال ردوها علي فأقبل عليها فضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقرباً إلى الله وطلباً لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعة الله» أ. هـ.

وقد أعز الإسلام الخيل، فأقسم الله عز وجل بها تكريماً لها وإعلاء لشأنها، وهي تضبح بأصواتها اللاهثة فتوري الشرر بحوافرها القادحة، فتثير النقع وتتوسط الجمع في اندفاع وقوة، إنها خيل المجاهدين المسرعات في الكر حيث يسمع لأنفاسها صوت جهير هو الضبح. قال ابن عباس رضي الله عنه: «إذا عدت قالت أح أح فذلك ضبحها» أ.هـ.

حيث يقول الله -عز وجل- : ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا** ﴿١﴾ **فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا** ﴿٢﴾ **فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا**﴾ [العاديات: ١ - ٣].

يقول سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن: «ويقسم الله سبحانه وتعالى بخيل المعركة، ويصف حركاتها واحدة واحدة منذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري، قارعة للصخر بحوافرها حتى توري الشرر منها، مغيرة في الصباح الباكر لمفاجأة العدو، مثيرة للنقع والغبار، غبار المعركة على غير انتظار، وهي تتوسط صفوف الأعداء على غرة، فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب.إنها خطوات المعركة على ما يألفه المخاطبون بالقرآن أول مرة... والقسم بالخيل في هذا الإطار فيه إيحاء قوي بحب هذه الحركة والنشاط لها، بعد الشعور بقيمتها في ميزان الله والتفاته سبحانه إليها» أ.هـ.